

تقديم

الأستاذ ريتشارد أنتجهاوزن

أستاذ الفنون الإسلامية بجامعة نيويورك
ورئيس القسم الإسلامى بمتحف المتروبوليتان

سعدت عندما علمت أن السيدة نعمت إسماعيل علام تقوم الآن بكتابة المرحلة الثانية من فنون الشرق الأوسط فى كتاب (فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية) . وتوضح المؤلفة فيه التأثيرات الفنية القديمة التى كانت فى هذه المنطقة وظهرت ملاحظتها فى الفن الإسلامى . وهذا النوع من الكتب له أهمية كبيرة لدارسى الفن الإسلامى فى العالم كله . وأتمنى أن يقابل بالترحيب والتقدير .

وإنى سعيد جداً بهذا الكتاب الجديد لأن السيدة نعمت إسماعيل علام درست تحت إشرافى فى معهد الفنون الجميلة بجامعة نيويورك حيث حصلت منها على درجة ماجستير فى الآداب . وإنى متأكد أن رحلاتها إلى شتى البلاد الإسلامية قد أضافت إلى معلوماتها الكثير مما ظهر أثره فى هذا الكتاب .

تقديم

تميزت منطقة الشرق الأوسط بمنزلة رفيعة في ميدان الحضارة والفنون، ولقد أغرتني هذه المنطقة ذات الحضارات العريقة بدراسة فنونها التشكيلية، ولقد وقفت - وأنا بسبيل هذه الدراسة - عند تاريخين هامين كان لهما تأثير كبير في تطور فنون بلاد المنطقة، التاريخ الأول هو عام ٣٢٣ ق. م، والثاني عام ٥٧٠ م.

ففي التاريخ الأول توفي الإسكندر المقدوني بعد ما نجح في استبدال النفوذ الفارسي للمنطقة بنفوذ أجنبي إغريقي. وكان من نتيجة حكم قواده الذين اقتسموا فيما بينهم بلاد منطقة الشرق الأوسط، بدء ظهور عناصر فنية غربية جديدة على المنطقة تختلف عن أساليب فنون الشرق الأوسط القديم.

أما التاريخ الثاني فهو سنة ميلاد محمد بن عبد الله رسول الله ﷺ وخاتم الأنبياء الذي اختاره الله للدعوة للدين الإسلامي. حيث نتج عن دعوة هذا الرسول الكريم لدين «الإسلام» انتشاره في سرعة البرق بين شعوب المنطقة وفي فجاج الأرض. ومن ثم نشأ «الفن الإسلامي» الذي اشتق اسمه من «الإسلام».

ولقد تناولت بالبحث في كتابي الأول «فنون الشرق الأوسط والعالم القديم» الفنون العريقة التي مارستها شعوب العالم القديم في الفترات الوتنية، ثم تعرضت في كتابي الثاني «فنون الشرق الأوسط في الفترات الهيلينية، المسيحية، الساسانية» للفن الهليني الذي أدخله، الحكام الإغريق الجدد بعد انهزام الشرق أمام الغرب، كذلك التغير الذي ظهر في الفنون بعد ظهور المسيحية ولقد شجعتني هذه الدراسة على القيام بمحاولة لاستكمال دراسة فنون منطقة الشرق الأوسط بعد ظهور الإسلام - وذلك في مؤلف ثالث - وسنجد أن هذا الفن الذي انتشر في دول الشرق الأوسط الإسلامية خلق ليبقى في الفترات المعاصرة والمستقبلية.

وسيلأخذ القارئ في هذا الكتاب أن الفن الإسلامي الذي اشتق اسمه من

الإسلام، قد ولد بظهور الإسلام كما أن مراحل نضوجه تمت بعد انتشار الدين الجديد في بلاد منطقة الشرق الأوسط، بعد مرور قرنين من الفتوحات الإسلامية، حيث تفاعل الدين مع التأثيرات الفنية المختلفة التي كانت موجودة في الحضارات السابقة. ومما لا شك فيه أن للدين الإسلامي دوراً كبيراً في ظهور كثير من الفنون الإسلامية.

ويتميز الفن الإسلامي عن غيره من الفنون القديمة بكونه من أوسع الفنون انتشاراً، وذلك لاتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية التي امتدت من الصين شرقاً إلى إسبانيا غرباً. ولاتساع الإمبراطورية الإسلامية واختلاف طرز وفنون شعوبها المختلفة سنلاحظ اختلافاً ظاهراً في بعض عناصر وأساليب المدارس الفنية الإسلامية التي تكونت بها. وبالرغم من هذا الاختلاف الجزئي، سنجد أن هذه الفنون متشابهة في أصولها يجمع بينها الدين الإسلامي مما نتج عنه فن جديد عرف بالفن الإسلامي. وسنجد أن لكل فترة لونها الخاص من العظمة الفنية.

وبالرغم من أن المكتبة العربية تذخر بأبحاث قيمة في الفنون الإسلامية قام بها علماء مصريون على جانب كبير من العلم بالإضافة إلى المراجع الأجنبية، إلا أنني أهدف في بحثي هذا استكمال كتابي الثاني عن فنون الشرق الأوسط، وذلك بالتعمق في إبراز الصلة بين مدارس الفن الإسلامي التي ظهرت في المنطقة، وبما كان موجوداً من فنون محلية قبل ذلك. فمما لا شك فيه أن مصادر الفن الإسلامي لها دور كبير في تكوين نواة هذا الفن، حيث تعرف العرب على الفن الساساني بعد فتح إيران والعراق، وعلى الفنين الهيليني والمسيحي البيزنطي بعد فتح سوريا ومصر. وإنني أعتقد أنه ليس هناك حرج في أن يقتبس أي فن من عناصر فنية وجدت من قبل، فباستثناء الفنون العريقة لبلاد العالم القديم كالفن المصري والفن السومري، نلاحظ أنه ما من فن ازدهر وانتشر إلا واقتبس من الفنون السابقة له. كما نجد كثيراً من عناصر الفن الإسلامي انتقلت إلى فنون الغرب.

وإنني أتقدم بشكري لأستاذي الدكتور ريتشارد إتنجهاوزن على توضيح بعض النقاط التي صادفتني. كما أشكره على الصور التي أمدني بها. ولا يغيب عني تقديم جزيل شكري للأستاذ روبنسن مدير القسم الإسلامي بمتحف الملكة فيكتوريا على المطبوعات والصور التي زودني بها. كذلك أقدم شكري لكل من قدم لي نصيحة أو معاونتة في بحثي، ومن أمدني بكثير من الصور الموجودة في

كتابى وخاصة المتحف الإسلامى بالقاهرة، ومتحف برلين الغربية، ومتحف المنسوجات بمدينة بوسطن ومتحف الدولة ببرلين الشرقية، ومتحف فريير بواشنطن. وإنى لعاجزة عن تقديم شكرى بصفة خاصة إلى متحف المتروبوليتان بنيويورك، الذى تفضل بإهدائى عددًا كبيراً من الصور.

وسلاحظ القارئ أن الطبعة الرابعة تتميز بمصاحبة النص للوحات المصورة بدلاً من وجودها فى آخر الكتاب كما كان الحال فى الطبعتين الأولى والثانية. وأرجو من المولى أن يساعد هذا البحث المتواضع طالب دراسة الفنون الإسلامية، فيكون عوناً له فى معرفة الإجابة عن بعض الأسئلة التى تدور بذهنه.

المؤلفة

نعمت إسماعيل

أكتوبر سنة ١٩٨٩

الفهرس

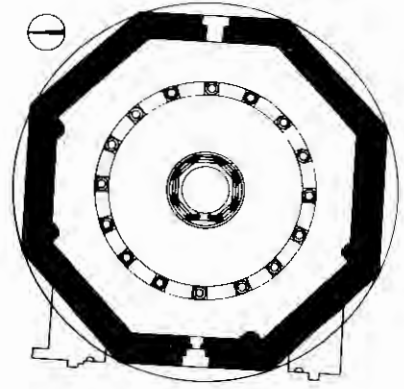
الصفحة	
٦	خريطة توضح الإمبراطورية الإسلامية
٧	تقديم
١٥	لوحة زمنية للعالم الإسلامي حتى عام ١٧٠٠
١٦	مقدمة تاريخية
١٩	● الباب الأول : طراز العصر الأموي
	(تمهيد تاريخي - العمارة - الزخارف المعمارية - التصوير
٤٨-١٩	الجداري - الفنون الصغيرة)
٤٩	● الباب الثاني : الطراز العباسي - العصر العباسي الأول
٤٩	تمهيد تاريخي
٥٣	الفصل الأول : العراق
	(العمارة - الزخارف المعمارية - التصوير الجداري - الفنون
٧٦-٥٣	الصغيرة)
٧٧	الفصل الثاني : الولايات المحلية خارج العراق
	الطولونيون في مصر (العمارة - الزخارف المعمارية - الفنون
٨٣-٧٧	الصغيرة)
٨٤	إيران وخراسان
٨٩-٨٤	(أ) الدولية البويهية (العمارة - الفنون الصغيرة)
	(ب) الدولة السمانية (العمارة - الزخارف المعمارية - التصوير
٩٥-٨٩	الجداري - الفنون الصغيرة)
٩٦	الغزنويون (العمارة - التصوير الجداري)
٩٩	● الباب الثالث : طراز العصر الأموي في إسبانيا
	(تمهيد تاريخي - العمارة - الزخارف المعمارية - الفنون
١٠٥- ٩٩	الصغيرة)

- ١٠٧ **• الباب الرابع : طراز العصر الفاطمي**
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الزخارف المعمارية — الفنون
 الصغيرة) ١٣٠-١٠٧
- ١٣١ **• الباب الخامس : طراز العصر السلجوقي**
 الفصل الأول : السلاجقة الأتراك في إيران ١٣٣
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الزخارف المعمارية — الفنون
 الصغيرة) ١٥٧-١٣٣
- ١٥٩ الفصل الثاني : السلاجقة في تركيا
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الزخارف المعمارية — الفنون
 الصغيرة) ١٧١-١٥٩
- ١٧٣ الفصل الثالث : أتابكة السلاجقة
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الزخارف المعمارية — الفنون
 الصغيرة — التصوير) ١٩٠-١٧٣
- ١٩١ **• الباب السادس : طراز العصر الأيوبي في مصر وسوريا**
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الفنون الصغيرة — التصوير) ١٩٩-١٩١
- ٢٠١ **• الباب السابع : الطراز المغولي في إيران**
 الفصل الأول : العائلة الإيلخانية ٢٠٣
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الزخارف المعمارية — التصوير) ٢٢٧-٢٠٣
- ٢٢٩ الفصل الثاني : العائلة التيمورية
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الزخارف المعمارية — التصوير) ٢٥١-٢٢٩
- ٢٥٣ **• الباب الثامن : الطراز المغربي الإسباني**
 (تمهيد تاريخي — العمارة — الزخارف المعمارية — الفنون
 الصغيرة) ٢٦٩-٢٥٣

الصفحة

- الباب التاسع : طراز العصر المملوكى . الممالك البحرية -
 الممالك البرجية ٢٧١
 (تمهيد تاريخى - العمارة - الزخارف المعمارية - الفنون
 الصغيرة - التصوير - التذهيب والتجليد) . . . ٢٧١-٣٠٢
- الباب العاشر : طراز العصر الصفوى فى إيران . . . ٣٠٣
 (تمهيد تاريخى - العمارة - الزخارف المعمارية - الفنون
 الصغيرة - التصوير - التذهيب والتجليد) . . . ٣٠٣-٣٤٢
- الباب الحادى عشر : طراز العصر العثمانى فى تركيا . . . ٣٤٣
 (تمهيد تاريخى - العمارة - الزخارف المعمارية - الفنون
 الصغيرة - التصوير) ٣٤٣-٣٦٤
- الباب الثانى عشر : الفن الإسلامى فى الهند - العصر الإسلامى
 الأول - العصر المغولى ٣٦٥
 (تمهيد تاريخى - العمارة - الزخارف المعمارية - التصوير) ٣٦٥-٣٨٥

(ش ١)
تصميم كنيسة الصعود

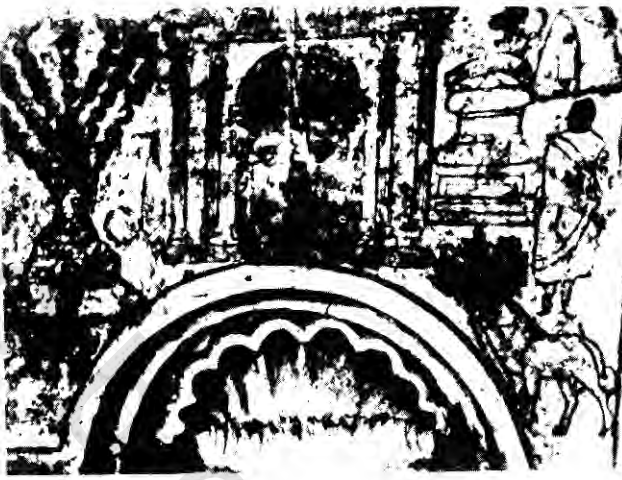


(ش ب)
فيفساء سن العصر الروماني المسيحي
لمدينة القدس (القرن السادس الميلادي)



(ش ج)
زخارف فيفساء تغطي جدران كنيسة
بمدينة (راقينا) تصور قصر تيودوريك
(عن كريسويل)

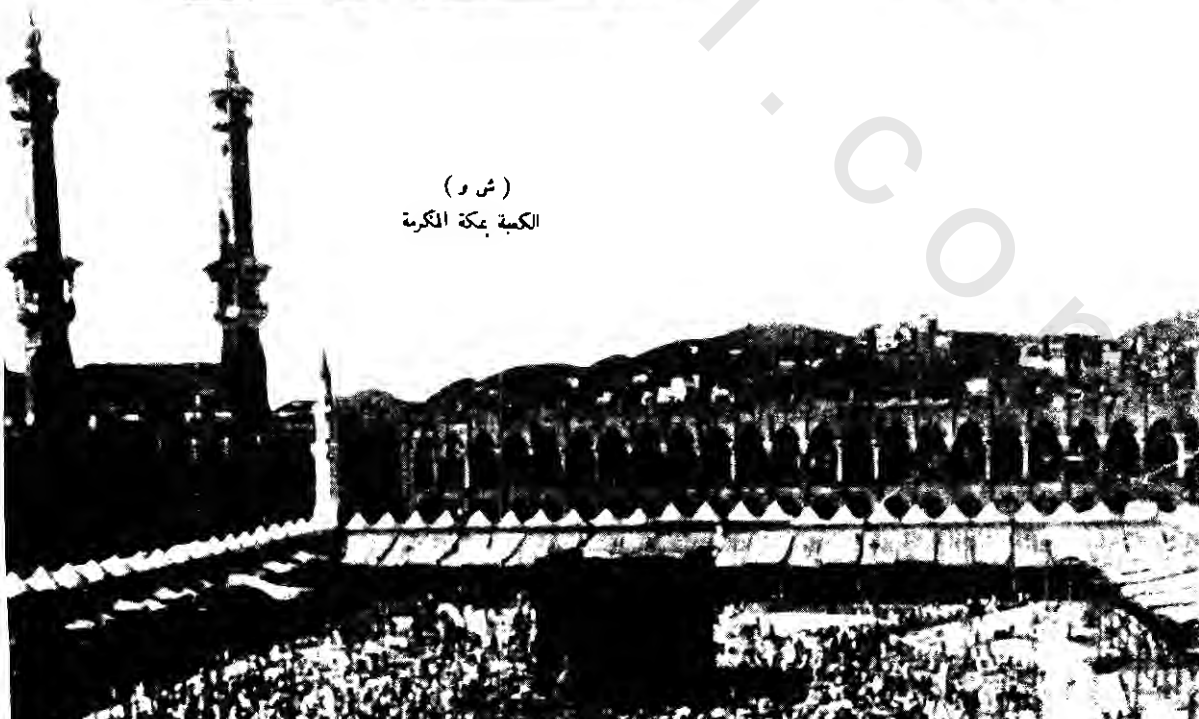




(ش د)
محراب في معبد يهودي



(ش هـ)
خيام المنقول



(ش و)
الكنيسة بمكة المكرمة

مقدمة تاريخية

ظهر الدين الإسلامى فى شبه الجزيرة العربية ، وكانت هذه الأرض الصحراوية وقت مولد النبى عام ٥٧٠ م تقع على أطراف إمبراطوريتين عظيمتين ذات حضارات كاملة وفنون عريقة ، الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية. ولم يكن لهذه البقعة المترامية من الأرض الصحراوية زعيم يقودها ويلم شمل قبائلها المتنافرة التى تفاوتت عقائدها . فبينما تدين قلة بالديانات السماوية ، تؤمن الأغلبية بالآلهة الوثنية، ويرمزون لها بالأصنام الحجرية . ولقد ساعد وقوع الجزيرة العربية بين شواطئ البحر الأحمر وشواطئ المحيط الهندى والخليج العربى ، على جعل سكان الجزيرة العربية تجاراً ناجحين اتصلت قوافلهم بالشرق والغرب ، وكانت مكة هى المركز التجارى الرئيسى فى شبه الجزيرة بالإضافة إلى المركز الدينى الذى صار لها بعد بناء الكعبة عام ٦٠٨ م ، حيث كان يحج إليها العرب من كافة أنحاء الجزيرة لتقديم فروض الطاعة للآلهة والتبرك بالحجر الأسود .

فلما بعث الله إلى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب — الذى نشأ يتيماً فى بيت عمه أبى طالب — برسائله عام ٦١٠ م ، كان على رسول الله أن يجاهد فى سبيل جمع شمل أمته المتفرقة ليخرجها من ظلمات ديانات الأزلام إلى نور التوحيد . ولقد لاقى محمد من أسرته بنى هاشم التى تنتسب إلى قبيلة قريش كثيراً من الاضطهاد، مما دفعه إلى هجر مكة مع من آمن برسائله إلى يثرب (المدينة) فى عام ٦٢٢ م ، ويعتبر المسلمون هذه السنة بدء تاريخ السنة الهجرية العربية .

ولقد استطاع محمد عليه السلام فى فترة وجيزة السيادة على بلاد الحجاز بعد أن وحد بين أهلها وبعث فى نفوسهم إيماناً شاملاً بالدين الجديد . ونشأ عن ذلك مجتمع إسلامى منظم متماسك يربطه الدين الجديد . وبعد وفاة النبى عليه السلام فى عام ١٠ هـ — ٦٣٢ م ، تولى زعامة المسلمين أبو بكر الصديق صهره ورفيق جهاده، وتم فى عهده إخضاع شبه الجزيرة العربية للإسلام ، كما صارت عاصمة الدولة « المدينة » . وفى عهد عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين الذى تولى الحكم عام ١٢ هـ —

٦٣٤ م خرجت الجيوش العربية إلى خارج شبه الجزيرة يحدها الحماس للدعوة لدين محمد ، وكان هذا الحماس الديني للإسلام ثورة فريدة لم يعرف مثلها من قبل في تاريخ البشرية . ولقد تمكنت هذه الجيوش في فترة وجيزة من السيطرة على جزء كبير من البلاد ذات الحضارات القديمة . فبدأوا بفلسطين ثم سوريا في عام ١٤ هـ - ٦٣٦ م ، ثم العراق عام ١٥ هـ - ٦٣٧ م ومصر عام ١٧ هـ - ٦٣٩ م ثم إيران عام ٢٠ هـ - ٦٤٢ م . ولم يستغرق ذلك أكثر من خمسة عشر عاماً . وخلف عمر ، عثمان بن عفان في عام ٢٢ هـ - ٦٤٤ م وجمع في عهده أقدم نسخة من القرآن ، ثم على بن أبي طالب بن عم النبي وزوج ابنته في عام ٣٤ هـ - ٦٥٦ م وتعرف هذه الفترة بحكم الخلفاء الراشدين ويعتبر عصر الإسلام الذهبي .

ولقد امتدت انتصارات المسلمين بعد ذلك شرقاً وغرباً فشملت بلاد التركستان الغربية وجزءاً من شمال أفريقيا ، وفي أقل من نصف قرن كان نصف العالم المتحضر تحت حكم موحد في ظل الإسلام ، الدين الجديد .

لم يتعرض الحكم الإسلامي الجديد لديانة أهل البلاد ، كما استمرت اللغات الأصلية مستعملة في الكتابات الرسمية لفترة بعد الفتح الإسلامي . فكان الموظفون في العراق وإيران ، إيرانيين يستخدمون اللغة البهلوية ^(١) ، كما كان الأقباط والمسيحيون هم القائمون بالأعمال في مصر وسوريا ويستخدمون اللغة الإغريقية في المكاتبات .

كانت الفنون التي ظهرت قبل الإسلام في الجزيرة العربية مقتصرة على الجزء الجنوبي منها وكانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالديانة الوثنية ^(٢) ، كما أن الآثار الفنية التي ظهرت في بعض المدن ذات الأصل العربي الواقعة على الحدود السورية وفي بلاد اليمن ترجع إلى العصر الإغريقي والروماني ^(٣) .

ولقد بدأ اهتمام العرب المسلمين بالفنون التشكيلية بعد انتقال مركز الخلافة الإسلامية إلى خارج شبه الجزيرة العربية ، وكان ذلك في عهد خلفاء بني أمية الذين

(١) فتوح البلدان (البلاذري ص ١٩٣) .

(٢) مكة والمدينة . السيدة إميل إيسن ص ٢٩ باللغة الإنجليزية .

(٣) كتابنا فنون الشرق الأوسط في الفترات الهيلينية ، المسيحية ، الساسانية دار المعارف ص ٤٤ - ٦٠ .

تقلدوا الحكم بعد الخلفاء الراشدين . ولقد استمر اهتمام الحكام المسلمين بعد ذلك بفنون البلاد التي تكونت منها إمبراطوريتهم الواسعة ، والتي كانت مراكز حضارات عريقة ازدهرت فنونها قبل العصر الإسلامي . وتكون لكل إقليم من الأقاليم التي خضعت للإسلام طراز وأساليب فنية محلية . وانتقلت هذه الأساليب من قطر إلى قطر ، كما أضاف الفنان إليها بعض الأساليب الجديدة التي تلاءمت مع الأحداث الاجتماعية الناشئة عن الدين الجديد . ولقد نتج عن هذا الامتزاج فنون ذات طرز وأساليب جديدة تختلف عن فنون البلاد الأصلية . ولقد نسبت هذه الأساليب الإسلامية الجديدة إلى مدارس فنية ازدهرت بتشجيع من الأسر الحاكمة التي تمكنت من فرض ساططها على الإمبراطورية الإسلامية أو على أجزاء منها . ولذلك نجد أن المدارس الفنية الإسلامية قد مرت في أول الأمر في أدوار أو عصور سياسية مختلفة بدأت بعصر خلافة بني أمية ، ثم العصر العباسي ، كما تكونت خلافات إسلامية مستقلة في الأندلس ومصر وإيران وتركيا . وفي دراستنا للفن الإسلامي سنتكلم عن المدارس الفنية الإسلامية تبعاً للعضور المتقدم ذكرها ، وبذلك تكون أولى هذه المدارس هي المدرسة الأموية .